

الأساس: الكتاب الأول: الافتراضات الأساسية (135) - الإدراك (96)

تجليات الإدراك فك الحياة المعاصرة (3)

الإدراك والوجدان والتفك المبدع

Information Processing

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD0901212.pdf>

دروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2012/12/09
السنة السادسة - العدد: 1927



في النشرة السابقة في سلسلة الإدراك (الإثنين 12/3) قدمت بعض أدوات الإدراك وتجلياته فيما أسميته الحياة العادية، وكنت أنوى تأجيل الحديث عن علاقته بالوعي والوجدان والإبداع، لحين الانتهاء من تقديم بعض أشكال اضطرابه، إلا أن الصديق الشاعر أ.د. صادق السامرائي عاجلني بقصيدة أصيلة، اضطرتني إلى التعجيل في محاولة تقديم الجانب الخاص بالإبداع في علاقته بالإدراك [1]

حين التقطت ما كتبه شيعي نجيب محفوظ في صفحة التدريب رقم "106" التي نشرت يوم الخميس الماضي، بعد أن عدد بعض قراءاته دون ترتيب محكم، كان فقط يدرب يده المصابة (اليمنى) على العودة للكتابة، كتب في نهاية الصفحة ما نصه: "وقد قرأت ما قرأت بوجودتي، ولم أدرسه"، فعقبت أنا على ذلك كما يلي:

".... الفرق بين أن تقرأ للدراسة، وأن تقرأ بالوجدان هو الفرق في نوع التلقى ودور المتلقى في إبداع النص، ليس عندي أدنى شك أن الأستاذ كان يبدي كل أو أغلب ما يقرأ وهو يقرأه بوجوده، واستسمحه بأن أقول يقرأه بإدراكه بالشكل الذي قدمنا إيجابياته في الملف ...، وقد أرجع لاستشهد بهذه الجملة تحديداً عندما أربط بين الإدراك والوجدان والإبداع لاحقاً (في ملف الإدراك أيضاً).

وهأنذا أرجع:

لكلمة "وجدان" عندي موقع خاص جداً، وأنا أعترف على حضارة أهلي من هذه اللغة العبرية التي يكاد يدل كل لفظ فيها على تاريخ نشأته وتطوره بشكل لا يمكن أن يخرج إلا من حضارة متكاملة دون شك، (برغم ما آل حالنا إليه) وقد بحثت عما يقابل لفظ "وجدان" في اللغتين الإنجليزية والفرنسية، فلم أجد ما يرضيني، [2]

اليوم، انطلاقاً من كلمة شيعي وتعقيبياً أجدني مضطراً إلى إعادة بعض ما سبق أن سجلته في أطروحتي عن "مخاطر الترجمة بين تسطيح الوعي واختزال المعرفة" للتعرف على أبعاد مشاعرنا. انطلاقاً من وقفتي عند لفظ "وجدان" هذا، قلت ما يلي:

أين تقع مسألة اللغة العربية من المستقبل؟ هل هي لغة متحاف وعبادة وشعر قديم أم أنها معمار حي مرن متجدد قابل للإبداع بالإضافة والحذف وإعادة التشكيل؟ والجواب هو أقرب إلى الاجتهاد الأمل منه إلى الحقائق الحاضرة، ذلك أن

"... الفرق بين أن تقرأ للدراسة، وأن تقرأ بالوجدان هو الفرق فك نوع التفك ودور المتفك فك إبداع النص

لكلمة "وجدان" عندي موقع خاص جداً، وأنا أعترف على حضارة أهلي من هذه اللغة العبرية التي يكاد يدل كل لفظ فيها على تاريخ نشأته وتطوره بشكل لا يمكن أن يخرج إلا من حضارة متكاملة

أين تقع مسألة اللغة العربية من المستقبل؟ هل هي لغة متحاف وعبادة وشعر قديم أم أنها معمار حي مرن متجدد قابل للإبداع بالإضافة والحذف وإعادة التشكيل؟

أغلب المدافعين عن اللغة العربية، مثلهم مثل

الفخوريين بالحضارة
العربية، يبدون لك
وكانهم أمناء متحف، أو
شعراء يقفون على
الأطلال ليكون الديار
ومن هجروها

أما إذا كان الوجد
بمسئولية الوجود
هو الذي يدفعنا إلى
تغيير التعبير من "العودة
إلى العربية" إلى
"الانطلاق من العربية
وبها.." فهذا تستحق
المسألة أن بختهد فيها
ونبذل فك سبيلها كل
ما تستأمله

أنا نقرب من التعرف
على الظاهرة المعنوية
إذا ما صغناها بما هو
أقرب إلى اللغة التي
حضرت فك الوجد
الخاص بها

إذا كان لفظ الوجدان
استطاع أن يحمل كل
تلك المعاني فكيف
نرضك أن نقصره -
حتك كمصطلح علمي
- على استعمال أقره
المجمع اللغوي
اصطلاحيا

(إن الأقتصار على
المعنى المعجمي)....
سيبعد لفظ الوجدان
بكل إحصائياته السابقة
وشموله المتزامن عن أحد
معنى سوى هذا
التعريف الخامل

أغلب المدافعين عن اللغة العربية، مثلهم مثل الفخوريين بالحضارة العربية، يبدون لي
وكانهم أمناء متحف، أو شعراء يقفون على الأطلال ليكون الديار ومن هجروها، فإذا
صح أن الأمر كذلك، وأن الدعوة إلى التعريب أو العودة إلى العربية ليست إلا ما هو
مثل ذلك، فالأولى بنا أن نتمسك باللغات المستوردة القادرة على صياغة الحياة الآن،
فغدا .

أما إذا كان الوعي بمسئولية الوجود هو الذي يدفعنا إلى تغيير التعبير من "العودة
إلى العربية" إلى "الانطلاق من العربية وبها.." فهذا تستحق المسألة أن نجتهد فيها
ونبذل في سبيلها كل ما تستأمله.

"..... لقد وجدت من خلال معاشتي لتخصصي ولغتي أن ثمة ظواهر "تحضر"
في الممارسة الإكلينيكية بما هي ، بنية مكثفة في سياق وعي خاص ، وأن هذه البنية/
الوعي إنما تحضر بلغتها طبعاً، ليس فقط بمعنى حكي الأعراض، وإنما بمعنى
الحضور الفعلي لصورة المرض الكلية بما يسمح به تركيب اللغة، ثم تترجم هذه
الحالة من لغتها الفجة إلى أقرب تعبير علمي يستعمل في وصفها وتشخيصها، فأجد
أنا نقرب من التعرف على الظاهرة المعنوية إذا ما صغناها بما هو أقرب إلى اللغة
التي حضرت في الوعي الخاص بها

وبدءاً من منطقة بالغة الحساسية شديدة الأثر وهو منطقة العواطف والانفعالات سيكون
انطلاقاً لمناقشة لفظ الوجدان في أصله اللغوي، بالمقارنة بمحاولة اختزاله إلى مصطلح علمي[3]،
وذلك كمثال لما أعنى من أسبقية الظاهرة الكيانية اللغوية على ما يليها من محاولات علمية إختزالية
خاطئة غالباً، كما سأحاول أن أقدم هذا اللفظ ابتداءً في حركته المتشعبة، وتوليده المتفرج، لإثبات
خطورة (أو استحالة) اختزاله إلى ما هو دونه، فضلاً عما هو غيره، ولعل ذلك أنجح في بيان قدرة
اللغة العربية على الإحياء بالوافر من التوجهات الواجب الاستجابة لها إذا ما أريد الاقتراب الأدق
من حقيقة الظاهرة البشرية كما أحاطت بها لغتنا القادرة.

لفظ "وجدان" هو مصدر من فعل "وجد" (بفتح الجيم وكسرها: وجدَّ ووجد) ويختلف مفهوم مشتقات هذا الفعل واستعمالاتها باختلاف رسمه، وتشكيله، وحرف
الجر الملحق به، ثم السياق الوارد فيه.

فهو ينضمن أبعادا متعددة في مجالات مختلفة، لكنها متداخلة بالضرورة:

1 - ففي مجال ما هو انفعال/عاطفة، نجد أنه قد يعنى[4]

(1) **الحزن**: وجد في الحزن وجداء، وتوجد لفلان: حزن له، وبدون حرف جر: أنا

أجد وجداء؛ وذلك في الحزن..، كما يعنى:

(ب) **الغضب**: وجد عليه (في الغضب)، في الحديث الشريف: إني سائلك فلا تجد

عليّ، كذلك يعنى:

(ج) **الحب**: وجد به وجداء، في الحب، وله بها وجد: وهو المحبة. وأيضا :

(د) **الكرهية**: أوجده على الأمر: أكرهه.

2 - وفيما يتعلق بمعنى المعرفة والتبين: نجد أنه يستعمل عادة بلا حرف جر:

وجد زيدا ذا الحفاظ، "ووجدك عائلا فأعني"، وقريب من هذا معنى العثور على، أو

الحصول على: أوجده الشيء جعله يجده: يظفر به.

3 - لكن ثمة معنى يتعلق بالإبداع والخلق: أوجده الله: أنشأه من غير سابق

مثال، ثم هو أقرب إلى الوجود بما هو ضد العدم، **وجد**: خلاف عدم.

4 - وتمتد المعانى إلى ما يتضمن ما هو أكثر عيانية فيما يتعلق بالإشارة إلى: **السعة، والكثرة، والبسط،** ومن ذلك: أوجده الله: استغنى غنى لا فقر بعده، ثم الوجد **السعة "أسكنوهم من حيث سكنتم من وجدكم"**، وأخيرا فالوجد: **منقع الماء.**

فإذا كان لفظ الوجدان استطاع أن يحمل كل تلك المعانى فكيف نرضى أن نقصره - حتى كمصطلح علمي - على استعمال أقره المجمع اللغوى اصطلاحيا ليعنى: أولا: كل احساس أولى باللذة أو الألم، وثانيا: (يدل) على ضرب من الحالات النفسية من حيث تأثرها باللذة أو الألم فى مقابل أخرى تمتاز بالإدراك والمعرفة - وما جاء من أن هذا هو الاستعمال فى الفلسفة لا يستبعد الاستعمال ذاته فيما يسمى بعلم النفس.

(إن الاقتصار على المعنى المعجمي).... سيبعد لفظ الوجدان بكل إحياءاته السابقة وشموله المترامى عن أى معنى سوى هذا التعريف الخامل، فهو (لفظ الوجدان) سيفصل - بذلك - عما هو نبض إنسانى أعقد تركيبيا وأشمل إحاطة، وأعلى وُلافا، ثم هو (الوجدان) سوف يتلم كأداة معرفية أسبق من واحد مما يسمى تفكيراً (تجريبياً)، ثم أين يذهب تاريخ اللفظ وتوجهاته المعقدة المتضفرة فى ذات اللفظ بين الدفع العاطفى المختلف الإتجاه، وبين الإبداع من العدم مغلفاً بالقدرة المعرفية المدركة إدراكا سيقيا متصلا بالسعة والقوة والرى والطمأنينة؟؟، ألا يبدو كل هذا من حركة اللفظ كما تجلت لنا مما سجلته بضعة معاجم؟ فما بالك بتاريخه الحقيقى حتى تضمن ذلك، أفلا يشير ذلك إلى أننا لو رضينا بالاستعمال المعجمى الأحداث للفظ الوجدان بهذه الصورة المختزلة فإننا نتكرر لحقيقة اللفظ وتاريخه إذ نبتعد عن الظاهرة التى نشأ أصلا مواكبا لها فى محاولة احتوائها أو الدلالة عليها.

ولا يحتج محاور بأن الاستعمال الأدبى والعام شيء، فى حين أن الاستعمال الفلسفى والعلمى شيء آخر، لأنه إذا جاز هذا الفصل التام فى العلوم البحتة، فهو لا يجوز إطلاقا فى العلوم الانسانية، والنفسية خاصة، ثم إننا بهذا الاختزال إنما نلصق لفظا عريقا كلافتة على ظاهرة لم ننبين معالمها أصلا، بدلا من أن نستلهم ما ينبغى أن نبحث فيه، لأن اللفظ إذ نشأ وتطور، إنما نشأ وهو يلامس ظاهرة حية، ثم هو يحاول احتواءها، فيكشف ويكتشف تعدد وجوهها، وثرأ عطائها، فيتحرك فى سياقات متعددة ومتنوعة، ثم قد يلحق به حرف مساعد، أو قد تسبقه أداة موضحة، فيقترب ويبتعد، ويجتهد لاحتواء مضمون مناسب لما يريد وصفه، ثم يعجز - عادة فتفيض عن حدوده تولدات الظاهرة الأرحب، فيلاحقها باستعمال جديد، أو يساعده، (أو يحل محله) لفظ جديد، وهكذا.

ولقد قلنا سابقا إن الظاهرة أسبق من تسميتها، ولكنها ليست بالضرورة أسبق من لغتها الأساسية، ذلك أن التركيب اللغوى الغائر هو أسبق من التحديد اللفظى (المعجمى بالذات) - ونذكر القاريء هنا أيضا أن التحديد اللفظى المتنوع فى السياق هو أسبق من التحديد العلمى المصطلحي، لكن التحديد العلمى فى هذه المنطقة بالذات من العلوم النفسية - يرتد بالأثر المختزل والمشوه لما هو أشمل لغة وأرحب وجودا.

.....

وبعد

فقد بلغ من اقتناعى بأهمية ودلالات ما هو "وجدان" أن ضمنته بحروف لاتينية (ما دام ليس له ما يقابله فى لغاتهم) ضمن ما اقترحت من أبعاد Dimensions تضاف لاحقة إلى أى تشخيص تقليدى،

لو رضينا بالاستعمال المعجمى الأحداث للفظ الوجدان بهذه الصورة المختزلة فإننا نتكرر لحقيقة اللفظ وتاريخه إذ نبتعد عن الظاهرة التى نشأ أصلا مواكبا لها فى محاولة احتوائها أو الدلالة عليها

اللفظ إذ نشأ وتطور، إنما نشأ وهو يلامس ظاهرة حية، ثم هو يحاول احتواءها، فيكشف ويكتشف تعدد وجوهها، وثرأ عطائها، فيتحرك فى سياقات متعددة ومتنوعة

إن الظاهرة أسبق من تسميتها، ولكنها ليست بالضرورة أسبق من لغتها الأساسية، ذلك أن التركيب اللغوى الغائر هو أسبق من التحديد اللفظى (المعجمى بالذات)

أن التحديد اللفظى المتنوع فى السياق هو أسبق من التحديد العلمى المصطلحي، لكن التحديد العلمى فى هذه المنطقة بالذات من العلوم النفسية - يرتد بالأثر المختزل والمشوه لما هو أشمل لغة وأرحب وجودا

والأبعاد التي اقترحتها في أطروحتي ونشرت في المجلة العربية للطب النفسي كافتتاحية سنة 1990 [5] غير المحاور Axes الموجودة في التقسيم الأمريكي الرابع حتى الآن، وأرى من المناسب أن أقدم ما كتبته في مقدمة تقديم هذا البعد على الوجه التالي:

البعد الفرعى الثانى : "وجدانى مقابل لاجدانى"

"إن هذا البعد الفرعى فريد، وهو أصيل نسبيا حيث أن مصدره هو الكلمة العربية "وجدان"، وهى كلمة لم أجد لها ما يقابلها فى الإنجليزية، فهى لا تقابل ببساطة ما تعنيه لفظ affect ولا emotion ، وهى أكثر تضمينا لما يعنى نغمة وجودية سائدة بدرجات متفاوتة من النزوع العاطفى بما يشمل توظيفات معرفية وإرادية معا [6].

ثم أوصل ما جاء فى الفرض الأول: إن الحكم على زملة مرضية أنها وجدانية أم "لاوجدانية" لا يعنى العثور ضمن الأعراض على اضطرابات معينة فى مجال اضطراب العاطفة بما يشير إلى غلبة عاطفة معينة لدرجة مرضية. الفصام مثلا، لا ينبغى تصنيفه على هذا البعد أنه وجدانى لمجرد وجود أعراض انفعالات الاكتئاب أو الهوس جنبا إلى جنب مع أعراض الفصام، وإنما هو يوصف بذلك حين يسهل التعاطف (المواجدة) بين الفاحص والفصامى بشكل دافئ وعلى مسافة قريبة متغيرة، والعكس صحيح، فالفصامى فى الأغلب يصنف على هذا البعد أنه "لاوجدانى" لأن تبلده وبروده (الظاهرى) ولا ميلاته تحول دون التواصل وتشيع البرودة فى العلاقة وتتثبت المسافة الهامدة، على نفس القياس يمكن تصنيف حالات البارانويا المزمنة (الضلالات الثابتة المنظومية) على أنها "لاوجدانية" فى الحالات التى تتصف بالجفاف والقسوة والجمود، فى مقابل حالات البارانويا الوجدانية التى تنبسم وتقرب خفيفة الظل برغم المنظومة الضلالية الثابتة، وحتى الاكتئاب الذى اعتدنا أن نعتبره اضطرابا وجدانيا أساسا، يوجد فيه ما يصنف على هذا البعد على أنه "لاوجدانى"، وهو ما يسمى أحيانا الاكتئاب اللزج Sticky depression، أو الاكتئاب الطفيلى Paracytic depression، أو الاكتئاب النعاب Nagging depression، وفيه يحكى المريض عن كآبته، وغمه، وهموده، وربما ميوله الانتحارية، بطريقة لزجة اعتمادية مسطحة، فى مقابل "الاكتئاب الوجدانى" الذى يكون فيه المريض متألما ألما حيويا متحركا مُعديا حتى للفاحص، وهو يحكىه بالألفاظ بالكاد إذا طلب منه، لكنه يعيشه فى صمت وهو يشع منه تلقائيا عادة.

وبعد

كل هذا الاستطراد كان لتبيان علاقتى بما هو "وجدان" تلك الكلمة التى استعملها شيخى محفوظ وهو يكتب: "وقد قرأت ما قرأت بوجدانى، ولم أدرسه"،

فما علاقة ذلك بالإدراك؟

ألم أعقب على ذلك باحتمال أنه كان يشير إلى نوع من التلقى المبدع، الذى يقوم به الإدراك غالبا، بعيدا عن التلقى "الدراسى" على حد تعبيره، وبالتالي يأخذ شيخنا بيدنا إلى ما نريد توضيحه وهو "علاقة الإدراك بالتلقى المبدع"؟

وإلى الغد نكمل إن شاء الله تعالى.

قد بلغ من افتناع بأهمية ودلالات ما هو "وجدان" أن ضمنته بحروف لاتينية (ما دام ليس له ما يقابله فك لغاتهم) ضمن ما اقترحته من أبعاد Dimensions تضاف لاحقة إلى أحد تشخيص تقليدك

إن الحكم على زملة مرضية أنها وجدانية أم "لاوجدانية" لا يعنى العثور ضمن الأعراض على اضطرابات معينة فى مجال اضطراب العاطفة بما يشير إلى غلبة عاطفة معينة لدرجة مرضية

الفصام مثلا، لا ينبغى تصنيفه على هذا البعد أنه وجدانى لمجرد وجود أعراض انفعالات الاكتئاب أو الهوس جنبا إلى جنب مع أعراض الفصام

يمكن تصنيف حالات البارانويا المزمنة (الضلالات الثابتة المنظومية) على أنها "لاوجدانية" فى الحالات التى تتصف بالجفاف والقسوة والجمود، فك مقابل حالات البارانويا الوجدانية التى تنبسم وتقرب خفيفة الظل برغم المنظومة الضلالية الثابتة

[1] - ولست متأكدا كيف سيكون الترتيب حين يكون هذا العمل جاهزا في صورة تسمح بظهوره في

طبعة ورقية

[2] - ولم أحاول أن أعرف ماذا تم في شأن هذا اللفظ في إطار المعجم الموسع للعلوم النفسية، هذا النشاط المعجزة الذي يتواصل بروعة وإتقان، والذي لم أستطع أن أساهم فيه لإصراري على البدء من الممارسة بعيدا عن وصاية المعاجم، لكن استلهاما من أصول لغتي (لغتنا) وهي تحضر في وعيي ووعي ناسي "هنا والآن"، مع دعواتي للزملاء المجاهدين لإتمام هذا المعجم بالتوفيق بريادة صاحب الفكرة والأفضال أ.د. جمال التركي
وبحق سبق حائز تفضيلا مستحوذ ثنائى الجميلا.

[3] - سبق لى محاولة مراجعة ونقد ثلاثين تعريفاً (بالإنجليزية) لما هو انفعال، أو عاطفة مبينا قصورها جميعا عن الوفاء بتحديد الظاهرة المعنية، وحين لجأت إلى استعمال لفظ "وجدان" تبين لى أنه لفظ أكثر احتواء، وأدق نبضا من أغلب الألفاظ المقابلة والقريبة في لغات أخرى، حتى أنني اقترحت نقله كما هو إلى اللغات الأخرى متى ما نجحنا في استلهام ما يمكن أن يحدد الظاهرة التي يحتويها، أو يشير إليها، انطلاقا من موقعه في لغتنا نحن، وحينذاك (كما اقترحت) سوف يكتب بالإنجليزية مثلا هكذا Wijdan : دون ترجمة: الإنسان والتطور - السنة الخامسة - ابريل 1983 ص 108 - 150

[4] - أعتد في الرجوع إلى معنى اللفظ هنا وفيما بعد على المعجم التالية: لسان العرب (ابن نظير)، القاموس المحيط (الفيروزبادي) أساس البلاغة (الزمخشري) ثم الوسيط (المجمع اللغوي).

[5] - Rakhawy, Y. T. (1990) Breakthrough The Current Psychiatric Nosology- Part I. The Arab Journal of Psychiatry, 1: 81-92

Rakhawy, Y. T. (1990) Breakthrough. The Current Psychiatric Nosology- Part II. Multi-axial vis- a- vis Multidimensional Approach to Psychiatric Nosology, The Arab Journal of Psychiatry, .

[6] -Wijdanic<=>Non-wijdanic dimension

This subscale seems to be unique and rather original since it is basically derived from the Arabic word *wijdan* which has no exact translation to English. It *does* not simply mean: affect, mood or emotion. It is more inclusive referring to some holistic existential tone with variable affective connotation as well as definite cognitive and volitional implications (Rakhawy, 1987).

*** **

كامل نشراته " الإنسان و التطور " (اليومية) على الويب

<http://www.rakhawy.org>

www.arabpsynet.com/Rakhawy/IndexRakAr.htm

الاكتئاب الذك اعتدنا
أن نعتبره اضطرابا
وجدانيا أساسا، يوجد فيه
ما يصنف على هذا
البعد على أنه
"لاوجدانك"، وهو ما
يسمى أحيانا الاكتئاب
اللزج Sticky
depression، أو
الاكتئاب الطفيل
Paracytic depression،
أو الاكتئاب النجّاب
Nagging depression

حين لجأت إلى استعمال
لفظ "وجدان" تبين لك
أنه لفظ أكثر احتواء،
وأدق نبضا من أغلب
الألفاظ المقابلة والقريبة
فك لغات أخرى

اقترحت نقله كما هو
إلى اللغات الأخرى
متى ما نجحنا في
استلهام ما يمكن أن
يحدد الظاهرة التي
يحتويها، أو يشير إليها،
انطلاقا من موقعه في
لغتنا نحن، وحينذاك
(كما اقترحت) سوف
يكتب بالإنجليزية مثلا
هكذا : Wijdan دون
ترجمة